

مشكلات الدعوة والداعية.. (7)



الجمعة 6 مايو 2022 11:48 ص

المنعطفات الكبرى في حياة الدعاة

الزواج -المنعطف الأول

على دروب الحياة عقبات كثيرة، ومنعطفات خطيرة، تعترض سبيل الدعاة إلى الله، وتهدد مصير العاملين للإسلام... لكن الإعداد السليم والتوجيه القويم ودوام التحذير والتذكير من شأنه أن يكسب الأفراد مناعة تقيهم غوائل الانحراف والتردي وتعددهم على الزمن لمواجهة مغائن الدنيا ومغرياتها .

والواقع .. أن أكثر الدعاة في هذه الزمن تنقصهم المناعة النفسية القوية تجاه الإغراء والإغواء... فالأفكار والمفاهيم تبقى شعارات ونظريات فارغة ما لم يعد أصحابها والمؤمنين بها إعداداً علمياً حسيماً يتناسب مع كل ما ينتظرهم في غدهم وفي مستقبل دعوتهم من مفاجآت....وما لم تتجسد في حياة الدعاة قيم الدعوة ومثلها ..ويصبح الإسلام لديهم مقياس كل حكم، ومفتاح كل قضية، ومصدر كل تصور؛ فلن يطول بهم الزمن حتى يميل بهم الهوى وتبعث بهم النزوات ...

ومما يزيد المشكلة حدة أن دعاة الإسلام يعيشون في (مجتمع جاهلي) لا يمت إلى جوهر الدين بصلة...المجتمع تحلل من كل القيم والمثل ..وتعطلت فيه حواس الخير ..مجتمع اردحت فيه عوامل الإفساد حتى أصبح التهلك والإباحية عنوان التقدم والتحضر، وغدا التورع والتدين رمز الرجعية والتأخر

فإذا لم يكن دعاة الإسلام على جانب كبير من عمق العقيدة، وسمو الخلق، وقوة الإيمان ..وإذا لم يكونوا شديدي المحاسبة لأنفسهم...دائمي المراقبة لربهم ..متورعين عن الشبهات...مقبلين على الطاعات .حريصين على النوافل والعبادات فسيصابون حتماً بلوثات هذا المجتمع ..وسينالهم نصيب كبير من شذوذه وانحرافه .

وفي هذه العجالة سأتناول بالبحث أخطر منعطفين في حياة الدعاة، وكيف يمكن تجاوزها بأمان وسلام بإذن الله ...

المرأةالمنعطف الأول:

تلعب المرأة في حياة الدعاة - بل في حياة الناس أجمعين - دوراً بالغ الأثر ... فهي إما أن تكون مصدر نعمة أو مبعث نقمة .

وفي حياة (الدعوة) صور عديدة لكلا الحالتين ... فمن الدعاة من حسن بعد الزواج إسلامهم، واستقام خطوهم، وكثر إنتاجهم، ومنهم من تردت بعد الزوج حياتهم فساء إسلامهم، وفسدت أخلاقهم، ثم انطوى ذكرهم عن مسرح الدعوة ووجودها .

ولاشك أن لكل نتيجة من هذه النتائج أسبابها ومسبباتها وكما يقول المثل : (البقرة تدل على البعير) .. فالذين فشلوا في زواجهم هم الذين لم يتقيدوا (بإسلامية) الزواج وشرائطه من أول الطريق .. فأعمتهم المظاهر عن الجواهر وشغلتهم القشور عن اللباب ... فوقعوا في شر فعلتهم وندموا ولكن بعد فوات الأوان .

وصيانة للحياة الزوجية من مثل هذه الانتكاسات، وضع الإسلام القواعد والأسس الكفيلة بتحقيق إسلامية بيت الزوجية وسعادة أفرادها وصلاح ذريته . وإليكم أهم هذه القواعد والأسس :

سلامة القصد :

حرص الإسلام على أن يكون القصد الأول من الزواج: استكمال الدين مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي) وفي رواية للبيهقي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي) .

وحرص الإسلام كذلك على أن يكون الزواج عاملاً أساسياً . في تحصين النفس وتزكيتها ودفعها في طريق الطاعة والتعفف . فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) .

يقول أفلاطون : إن الإنسان في قلق دائم وضجر مستمر أو ينضم ثانية إلى جزئه المفصول وشطره المعزول .. فإذا انضم أحد الشطرين إلى الآخر بالزواج كان زواجاً مباركاً ميموناً وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والنكاح الذي يريد العفاف) . وكذلك حرص الإسلام على أن يكون القصد من الزواج : بناء البيت المسلم ليكون (اللبنة الصالحة) وحجر الأساس في بناء المجتمع الإسلامي ... والقرآن الكريم يعتبر هذا أمنية غالية من أمانى المؤمنين حيث يصفهم بقوله : {والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً} . أما إذا كانت رغائب (الجنس) مقاصد المتزوجين .. فستصبح الحياة الجنسية لديهم عبادة، ويصبحون هم بالتالي لها عبيداً ...

حسن الاختيار :

ولقد أكد الإسلام أول ما أكد على حسن اختيار شريكة الحياة ورفيقة العمر، واعتبر حسن الاختيار من عوامل تحقيق (إسلامية) الحياة الزوجية ومن تباشير الوفاق والأنس بين الزوجين فقال لرسول صلى الله عليه وسلم : (تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع وفي رواية دساس) .

ونحن وإن سلمنا بصعوبة وجود (الفتاة المسلمة) في حاضرتنا الاجتماعية غير أن حسن الاختيار سيحقق الأمثل فالأمثل . وقد لا نعدم وجود القابليات والاستعدادات الطيبة إن عدنا وجد العناصر النسائية المطلوبة . الإسلام أكد على توفر الخلق والدين كشرط أساسي لحسن الاختيار: وحذر من مغبة السعي وراء الجمال والمال والنسب . وبين أن جمال الخلق أبقي من جمال الخلق .. وأن غنى النفس أئمن من غنى المال فقال عليه السلام: (لا تزوجوا النساء لحسنهن؛ فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن؛ فعسى أموالهن أن يطغيهن .. ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء خرقاء ذات دين أفضل) .

وحبذا لو يتوفر في المرأة جمال القلب والقالب . فهي عندئذ خير النساء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (خير نسائكم من إذا نظر إليه زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسه وماله) .

فليحذر الإخوة الذين يفتشون عن الأشكال قبل الخصال وعن الأموال دون الخلال.. ليتمثلوا بأوامر الإسلام، وليكافحوا رغائب الشيطان في نفوسهم، وليستجيبوا داعي الله فيهم: { وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله }.

ثم ليعتبروا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة . ومن تزوج امرأة لم يرد به إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو وصل رحمه بآرك الله له فيها وبارك له فيه) .

لا تغريط ولا إفراط :

وحذر الإسلام كذلك من عاقبة الانسياق وراء الشهوة والإسراف في العلاقات الجنسية ليحافظ بذلك على شعلة العقول من أن تطفئها رياح الشهوات، وصيانة للنفوس من أن تستعبد الغرائز والنزوات؛ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (النساء حائل الشيطان، ولولا الشهوة لما كان للنساء من سلطنة على الرجال) وصدق إبراهيم بن أدهم حيث يقول: (من تعودوا أفخاذ النساء لم يحي منهم شيء) أي لا يرجى منهم خير .. ويكفي أن يعرف الأزواج مدى ما يسببه العمل الجنسي من اختلال عميق في كافة وظائف الجسم حتى يعدلوا عن الإسراف ويحرصوا على التوسط والاقتصاد يقول الدكتور (ج. مايلان): إن نبضات القلب تتسرع حتى تكاد تبلغ 15.. نبضة في الدقيقة الواحدة والضغط الشرياني يسجل هو الآخر ارتفاعاً هائلاً قد يصل إلى الحد الأعلى أما التنفس فانه يضاعف سرعته هو الآخر والدورة لدموية الدماغية لا تسلم كذلك من هذا لتغيير الطارئ فالدماع يتلقى كمية من الدم أكبر ويجد نفسه في حالة احتقان شديد ولنصف إلى ما تقدم أن حدقة العين تتسع والجلد يفرز العرق واللحاح وإفرازات المعدة والهرمونات تزداد غزارة ويتابع الدكتور (مايلان) حديثه فيقول: (ينبغي للفريرة الجنسية أن تتخذ صفة مثالية كلما تقدم الإنسان بالعمر على المرأة أن ينصرف في كبره إلى الأعمال الفكرية التي تصرف الذهن عن كل تفكير جنسي وهذا ما يثبت صحته رجال انصرفوا إلى الفكر فعاشوا فيما يشبه التبتل والقابليات الفكرية هي آخر ما يضعف عند الإنسان، فمقدور المرأة حتى سن متقدمة جداً أن يظل مستمتعة بهذه الملذات العقلية المهدئة)، والواقع أن الإسلام نهى عن الإسراف في كل أمر، وإن كان حلالاً طيباً والإفراط في أي شيء مضر، وخير الأمور أوسطها.

وعلى سبيل العلم والمعرفة نذكر هنا بأن (زرادشت) حدد المدة بين الجماع بتسعة أيام وحددها (سقراط) بعشرة أيام ، أما (لوثر) مؤسس المذهب البروتستانتي فقد نصح بمرتين في الأسبوع الواحد..

شخصية الزوج هي الأساس :

وحذر الإسلام الزوج من التماذي في مجاراة المرأة فيما تهوى حفاظاً على شخصية الرجل وقوامته من الانهيار والانحسار، وفي ذلك الخراب كل الخراب لبيت الزوجية ولمن فيه ويتحدث الإمام الغزالي عن هذا المعنى في كتاب الإحياء فيقول: (ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً وإن أرخيت عذارها فتراها جذبتك ذراعاً، وإن كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها) فشخصية الرجل تلعب دوراً كبيراً في الحياة الزوجية، وما لم يكن الرجل في حياة زوجته كل شيء تجد فيه المثل الأعلى والقوة الحسنة وتحسن منه الحزم والحنان فإن عقد الزوجية سيصاب حتماً بالتفكك، وقد يعتمد بعض الأزواج أن لا بأس من التساهل في مطلع الحياة الزوجية فإذا بهم يقعون ضحية جهلهم هذا مدى الحياة، والحق يقال أن الأيام الأولى هي التي ترسم مستقبل البيت الزوجي كله، ومن واجب الأزواج أن يكونوا أكثر تحسباً واحتياطاً في هذه المرحلة من غيرها، على الزوج ألا يتمادي في اتباع هوى زوجته إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبتها عندها، وإنما عليه أن يكون حكيماً يزن الأمور بميزان الإسلام، ويضعها في مواضعها، ومما يروى عن

الحسن بن على أنه قال: (والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الزوجة).

وخلاصة القول أن الزواج من أخطر المنعطفات التي تمر في حياة الدعاة، وخسارة كبرى أن يسقط هؤلاء عند التجربة الأولى، بل إن من واجبهم أن يقدموا بين يدي إسلامهم ودعوتهم وقائع نموذجية للحياة الزوجية الموفقة، وهذا من شأنه أن يكسب الحركة الإسلامية والقضية الإسلامية أبرز خصائصها وهي الواقعية ...

والحقيقة أن مشكلة الفشل في حياة الدعاة الزوجية باتت من المشكلات الرئيسية لكثرة وقوعها وتزايد خطرها لأنها لا تغتأ تفقد الدعوة حيناً بعد حين زهرة شبابها وخبرة رجالها، وإذا كانت الدعوة تستنفد عزيز طاقاتها في تكوين أفرادها فإن من واجبها أن تكون أكثر حرصاً على صيانة إنتاجها من التلف والبوار، وإن كان المهم أن نبني فمن الأهم أن نحافظ على هذا البناء ونصونه من غوائل الأيام .

منقول بتصريف من كتاب "مشكلات الدعوة والداعية" للأستاذ فتحي يكن - رحمه الله.

